

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نوال الحبيب مناهُ برضا مولاه، وفوق الرضا مشاهدة من اصطفاه، وترحيب أهل السما له في علاه، فسبحان من بالعبد سماه، ورضى الله تبارك وتعالى عن صاحبه في إسرائه، أبي بكر من طلب الصحبة، وعن الفاروق عمر الذي فرق بين الظلمة والضياء، وعن سيدنا ذى النورين عثمان وصاحب الحياء فسبحان من حيّاه، وعن أبي الحسين وزوج البتول فسبحان من أعطاه، وآله الكرام لهم منا كل الود والثناء.

أما بعد..

### فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ

يقول المولى الكريم ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ الضحى فكان عطاء المولى لحبيبه حتى يرضى، وهذا هو معنى (الحبيب) في أجهى صوره، فلما حانت الإسرا لم تكن ليسرى عنه، فالحبيب لا يحتاج إلى أسباب ليسرى عن حبيبه، فما بالكم بعطاء الحبيب لحبيبه ﷺ. وأما الإسراء فهو للمريد، فهو السبب في ترقى الدرجات وعلو المقامات ولا يأتي إلا لسليم الوجه قبل الجاهدات، وأساسها العقيدة في (الشيخ) فهي الباب الذى بوروده يُفتح لك السبيل إلى دخول

طريق أقوام بنوا على محض اليقين بنائهم، فكان نعم البناء على خير الأساس، فساروا على درب الخبراء إلى أن وصلوا إلى مُناهم. وكانت صحبة الحبيب المصطفى ﷺ غاية منى الواصلين، ودوام مشاهدة الوجه الكريم ذرة العارفين، فراعوا العهود والأمانات وحافظوا على الصلوات فكانت لهم الورثة اصطفاءً ومنةً. فالمنى صحبة الحبيب كما طلبها الصديق (الصحبة الصحبة) ونالها وزيادة، بمشاهدة وجه الكريم، فالكُمّل من الأولياء ينالون صحبة البدر اقتفاءً.

وقدم الحبيب حبيبه ليصلي إماما بالأنبياء لِيُعَلِّمَ مَنْ وراءهم مدى لطافة جسدية حبيبه، فهم أرواحٌ وحبيبه مازال في عالم الأجسام. وبعد أن نال الأنبياء شرف استقبال الحبيب في أرض الأبدان، عرجوا ليستقبلوه في سماء الأرواح، ليكشف لهم الوشاح عن بعض مكانة لاهوت الجمال وناسوت الوصال.

وإذا أمعنت النظر تجد أن رحلة الإسراء حدثت في شهر الله الحرام (رجب) وهذا الشهر هو الشهر الذي تزوج فيه والدى المصطفى ﷺ حيث انتهت رحلة أسفار انتقال النطفة الطاهرة بين الأصلاب والأرحام حتى استقرت عند السيدة آمنة رضوان الله تعالى عليها في (رجب) الفرد، ثم خرجت إلى الدنيا مرتدية ألطف وأشرف جسدية،

في أول (ربيع) الذات المحمدية وهي بحق اللطيفة التي أتت من غيب الأحذية، فكانت شمس سماء لكل الأسرار، ومظهراً لكل الأنوار. وكان المعراج مناجاةً ووحياً ورؤيةً، فهل كانت المناجاة لجبريل، والوحي من جبريل، والرؤية لجبريل؟ أم كانت المناجاة لله، والوحي من الله، والرؤية لله؟

إن رسول الله ﷺ وصل إلى أفق لم يعد فيه مكانا لجبريل، وارتقى لمستوى من النور ودرجة من القرب والحضور استحاله معها ارتقاء أى ملك مقرب أو نبي مرسل إلى هذا الارتقاء:

قَدْ اسْتَحَالَ إِرْتِقَاءُ الْكُلِّ رَفْوَتِهِ      فَدَنَا بِإِرْفَادِهِ يُرَوِّى رَوَائِبِنَا  
فكان للحبيب عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات المكانة الزلفى فحققت له المناجاة والوحي والرؤية دون واسطة أو حجاب، وكان هو الواسطة الكبرى والحجاب الأعظم، من به تعرّف الخلق على الحق، فَصَلِّ اللَّهُمَّ بِهِ مِنْهُ فِيهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لم تقف تلك المرتبة للحبيب فحسب.. ولكن من كرم الكريم أن جعلها في خلفاءه وورثته، ويشير إليها صاحب البحر المديد في تفسير آية الرضا من (الضحى) فيقول:

يشير إلى القسم بضحوة نهار قلب الرسول ﷺ عند انتشار شمس روحه على بشريته، وبليلى بشريته عند أحكام الطبيعة، وسلوك

آثار البشرية لغلبة سلطان الحقيقة ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ بقطع فيض النبوة والرسالة عن ظاهره ﴿وَمَا قَلَى﴾ بقطع فيض الولاية عن قلبه ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ يعنى: أحوال نهايتك أفضل وأكمل من أحوال بدايتك، لأنه ﷺ لا يزال يطير بجناحي الشريعة والطريقة في جو سماء الحقيقة ويترقى في مقامات القرب والكرامة<sup>1</sup>. وسرى المنى في الوجود فما كان له حد، فلم يقتصر على مرتبة دون الأخرى، أو على امرئ دون غيره، وحسبنا في ذلك طريقة أهل البيت ومسك الختام، فكان مئى الرعيل الأول صحبة الإمام فخر الدين رضى الله تعالى عنه، وقطفوا من درر شراب وصل العارفين من بين دفتى بطائن الأسرار حين تبدل عندها ألف بياها. وإلى خامس الخلفاء الراشدين ﷺ استمراراً لهذا المنهج الراقى في تعليم البشر، نراه يهمس لنا بقوله: كونوا دعاة إلى الله وأنتم صامتون، قالوا وكيف؟ قال: بأخلاقكم، فما كان منه ﷺ إلا أن أوضح لنا حديث الحبيب المصطفى ﷺ (الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعْلَهُ) ورؤى عن سيدنا لقمان الحكيم مثل هذا النص، وعن أبى الدرداء كان يقول: تعلموا الصمت كما تتعلمون الكلام، فإن الصمت حُكْمٌ عظيم وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن

<sup>1</sup> الإمام القشبرى في البحر المديد للإمام ابن عجيبة

تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعينك، ولا تكن مضحكاً من غير عجب، ولا مشاءً إلى غير إرب يعنى إلى غير حاجة.

فعلى الأحابب الترفع بأخلاقهم ويعينهم على هذا كثرة الاجتهاد في الذكر والعبادة ومحبتهم لإخوانهم، لتكون سبباً في نجاحهم إن شاء الله. وتنهمر حبات مطر لؤلؤ المنى لنعم سائر المسلمين ويتجلى نوال مناهم في رضاء الوالدين، وفي الزوجة الصالحة، ويمتد حتى يصل إلى تربية الأطفال، ويتفرع ليتواصل ويتجلى في نعمة العلم، ليفيض بعدها على عموم معاملات المسلم مع سائر الخلق، ودرر هذا المواطن في رضاء الباري بالقبول والعرفان من الحنان المنان.

ربما جاء يوم نجلس فيه معاً لا لنختلف أو نأتلف أو حتى لنتعاب أو نتصافح، وإنما لنكشف كم غرّتنا الدنيا وجعلتنا نتذكر حقوقنا وننسى واجباتنا، ونجد أن ما حدث بالأمس القريب كان عن سوء فهم، فجعلت الأخ يأخذ موقفاً من أخيه، وحينها يتضح أنه لم تكن هناك مشكلة من الأساس، بل تصرفات حدثت بينهم دون مبرر وكلّ أخذ جانباً من الآخر.

ففي كل طور من الأطوار تجد فروع المنى ودرره تحن إلى أصل العهد (بداية الطريق) الذي ارتوى بالسر الذي سرى فينا (كمال الدين).

ويقول المولى سبحانه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ 10:8 المؤمنون، مدح المولى سبحانه (الخلفاء) أصحاب الأمانات (رعاة الرعية) بأنهم مراعين لعهد الله المتمثل في السر الذي سرى فيهم من السر النبوي، ألا وهو هداية الصالحين، ورد الشاردين، ثم أفصح في ختام الآية بأنهم (الوارثون) فهلا وعيتم من هم (الخلفاء الراشدين) على اختلاف المسميات التي أطلقها عليهم المولى الكريم وحببيه ومصطفاه.

يقول المصطفى ﷺ ﴿سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ﴾ إن المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يؤدون الصلوات الخمس ويحافظون على تسوية الصف، ونسوا أو تناسوا أن يسوا صفوف وحدتهم بين الأمم، فوحدة صف العالم الإسلامي أهم ركيزة من ركائز التقدم، فعندما تماون المسلم في وحدة الصف، فقد استهان بكرامة وطنه، بإقامة كرامة الوطن من الإيمان.

ففي صدر الإسلام عندما كانت الصحابة وحدة واحدة حول الرسول ﷺ لا يلتفتون حول غيره، يراقبونه ولا يراقبون غيره، كان لهم الفتح الأكبر والنصر المبين، فكانوا لا يرون غير الرسول ﷺ رغم حبهم للصديق، ورغم حب رسول الله ﷺ له، فلم يجعلوا يوماً نداً لرسول الله ﷺ حتى الصديق نفسه.

وعندما آلت الخلافة إلى الصديق كان رضى الله تعالى عنه بمنزلة رسول الله ﷺ وسط قومه، مصداقاً لقوله ﴿الشيخ في قومه كالنبي في أمته﴾ وكان لقبه (خليفة رسول الله) وكان سائر الصحابة بمنزلة الصديق على عهد رسول الله ﷺ فلا يرون مع (الخليفة) لرسول الله ﷺ أحداً غيره، لذلك اتحدت الأمة واشتد عضدها، وحين اختلفوا وكثرت الآراء، وتعددت المفاهيم حول الخلافة، نشبت الحروب، بل ونال القاصي والداني منها.

ولما كان الشيطان يدخل دائماً في كل أمر من أمور الدين القويم ليُحيد الناس عن الطريق المستقيم، جاء البعض واتخذ من مُسمى الخلافة أو الإمارة سيفاً يتسلطوا به على رقاب العباد، فاستباحوا به دماء البشر التي حرمتها الشرائع السماوية والقوانين الإنسانية، حجتهم في ذلك الدعوة إلى الإسلام، فاجتزأوا النصوص تارة، وتارة أخرى فسروها بأهوائهم، وَنَصَّبُوا أَنفُسَهُمْ أَوْصِيَاءَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْمَجْتَمَعَاتِ، وَأَتَوْا بِفِكْرٍ عَقِيمٍ، وَضَلَالٍ مُّبِينٍ، وَأَصَلُّوا لِفِكْرَةِ التَّطَرُّفِ أَيْنَمَا حَلُّوا، وَحَسِبُوا أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِنْعًا، وهم الخاسرين أعمالاً، وما كانت الخلافة يوماً على هذا الحال، وإنما هي رمز للتوحيد وهدف لاستكمال مسيرة الحياة، فتوحيد الكلمة وتوحيد الجهود، يسعى بنا لبناء مجتمع قوى متماسك، لا تؤثر فيه التيارات الخبيثة والأفكار البائسة التي تسعى لخراب المجتمع بل وخراب الإنسان.

والكتاب الكريم ضرب لنا أعظم وأروع الأمثلة الممتثلة في سيدنا هارون عليه السلام، حين استخلفه كليم الله على قومه، وعبد بنو إسرائيل العجل، ولما رجع الكليم وعاتب سيدنا هارون، فقال له كلمة سجلها التاريخ لتكون رمزاً على مر العصور، وتتفاوت عليها الدهور ﴿خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ 94 طه، أن جعلتهم فرقتين، وبأها من سخرية، لم تتفرق الأمة إلى فرقتين بل صارت فرق بين هؤلاء وهؤلاء، ومن شدة الحماسة، تجد لكل قوم منهم حجة يستند إليها ليبرر بها مخالفتهم لله ورسوله وأولى الأمر، ولم يؤوى أحدهم إلى ركن شديد أو إلى رأى سديد.

فالأمة الإسلامية لن تعود إلى عصرها الذهبي حتى تفيق من غفلتها ويجتمعوا على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فوحدة صف الأمة الإسلامية علمها رسول ﷺ للبشرية لصغار المسلمين قبل كبارهم، علمها لهم في ركن الصلاة فقال ﷺ ﴿مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعٍ وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ﴾ علموهم أن يكونوا خلف إمام واحد ولا يتفرقوا شيعاً، فهل رأيتم جماعة بإمامين!!؟

فإذا نظرنا إلى أعداء الإسلام نجدهم يدعون إلى صفات المسلم غير أنهم ليسوا مسلمين، فتجدهم يشيرون إلى توحيد صفوفهم، وأن تكون كلمتهم واحدة، واحترام رموزهم، والرحمة بصغيرهم، والمحبة شعارهم، وحسن المعاملة ديدنهم.



وعندما حل المصطفى ﷺ بالمدينة المنورة أرسى فيها تعاليم الإسلام السمحة، فأمر ببناء المسجد ليجمع فيه الجمع الكريم من الصحابة ومن بعدهم من التابعين.

ولكى لا يكون هناك فرقتين علمهم المعلم الأول معنى الإخاء، فأخى بين المهاجرين والأنصار ليكونوا صفاً واحداً.

ثم علمهم رسول البشرية العفو في أبهى صورته عندما قام ﷺ بإعداد (وثيقة المدينة) أو كما أطلق عليها البعض (دستور المدينة) وهي التي تنظم علاقة جميع المواطنين في المدينة على اختلاف دياناتهم، ولم يتعصب رسول الإسلام للإسلام بل نظم علاقات التعامل بين المسلمين واليهود على اختلاف طوائفهم، ثم أسس سوق تجارى حتى يكسر الاحتكار، بل ونهى عن احتكار معاش المسلمين.

فأصبحت الدولة الإسلامية دولة عظمى ذات كيان وتجلت قوتها في اتحاد كلمتها والسير خلف رسوها الأكرم ﷺ.

لِنَا بُنَانًا وَمَا فَوْقَ الْمَنَىٰ دُرًّا

تحدثنا سابقاً عن أخطار العولمة فما زال هناك طائفة تنشر ما يجلو لها باسمنا ورسمننا دون الرجوع لشخصنا أو الرجوع للقنوات الشرعية المتصلة بنا، فيتحدثوا باسم الطريقة دون إذن صاحبها، ولم يستنكف الأحاباب نصحي الذى كان لوجه الله مأمون الجناب،

فمقي يتوبوا لأنفسهم، ويتوبوا إلى الرب الرحيم، فإذا كان هؤلاء ارتكبوا أخطاء فادحة فالخطأ الأكبر من الذين استمعوا لهم وتجابوا معهم بل وتبادلوا أطراف الحديث فيما بينهم.

وهذا الحال ينطبق على حال أصحاب حب الرئاسة الذين دعوا السُدج من أبناء الطريقة لأنفسهم، أو دعوهم للانتفاف حول غيرنا، وفي النهاية خسروا أنفسهم ولم يصيبوا الطريق بسهامهم وأفكارهم الضالة، وهؤلاء أو هؤلاء كأهم في علمنا قد أسهموا.

تمتلى الحياة بالمسرات والمنغصات، وقد تتكاثف الأحزان على الشخص فيشعر بضيقها وكدرها ويصبح كارهاً لها، وقد تجتمع له الحياة بكل المسرات فيفرح بها ويراهها كالجنة، ومن اليسير فهم تغير الإنسان إن فهمنا طبيعة تكوين النفس البشرية، قال الحق تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ 19 : 23 المعارج.

إن مفهوم تكوين وحدة الإنسان وخلق ودرجة امتثاله لشرائع ربه، لأمر شغل البشر منذ القدم، فإن أردنا تبسيط معنى الدين فهو عبارة عن عبد ورب وصلة بينهما تسمى (الدين) وفي أمر خلق النفس البشرية من التراب والماء لخلق سيدنا آدم حسب الأوامر الإلهية من الاسم (البارئ) ثم إلى (المصور) ثم إلى (الخالق) وكان آدم من أديم الأرض فسُمي آدم، وقد خلق في العرش، وفي السيرة

عن سيدنا عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال (فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله) فهو مخلوق في العرش، وهو بديناً مخلوق من تراب وماء، ثم وضع فيه الأرواح الثلاث:

- واحدة من الريح الصرف وتسمى بالروح (البهيمي) ووظيفتها تدبير وظائف الجسد اللاإرادي، كوظائف القلب والكلى وما شابه.
- ثم الروح الثانية وهي روح (التكريم) وهي من نور روح القدس ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ 70 الإسراء، أي وضعنا فيه روح التكريم، وهي تنزل في مواطن الحواس، كونه: سميعاً، بصيراً، حياً، مريداً، قادراً، عالماً، ومتكلماً.

- والروح الأخيرة هي روح (الإيمان) وهي منحة من نور النبي ﷺ:   
 أَمَّا عَنِ الْإِيمَانِ فَهُوَ مُغَيَّبٌ فِي طَيِّ غُورِ الْقَلْبِ وَالْوُجْدَانِ  
 هُوَ مِنْحَةٌ مِنْ نُورِ أَحْمَدِ أَهْلِهَا رُزِقُوا بِهَا خَرُّوا إِلَى الْأَذْقَانِ
- وعندما يصل الآدمي إلى موطن التكليف تأتي (الأنفس) ويبدأ الصراع بين الطبائع الأربعة الممتزجة فيه، منها الرحمانى المتمثل في (التراب والماء) والشيطاني المتمثل في (الهواء والنار) ويستمر الصراع حتى تنتصر أحد هذه الطبائع، وعن الحبيب المصطفى ﷺ

أنه قال: خلق الله الإنسان من أربعة أشياء: من الماء والطين والريح، أما إذا أكثر من الماء فيكون حافظاً أو عالماً فقيهاً أو كريماً، وأما إذا أكثر من الطين فيكون سفاكاً خبيثاً مفلساً في الدنيا والآخرة، وأما إذا أكثر من النار فيكون عواناً أو ظالماً، وأما إذا أكثر من الريح فيكون كذاباً. الحافظ السيوطي.

ثم أن الله وضع لابن آدم (العقل) وهو مثال للـ(برزخ) وهو لغة بمعنى (الرباط) حيث ورد في الحديث قول الصحابي للنبي ﷺ متحدثاً عن ناقته: أأعقلها وأتوكل أم أتركها وأتوكل؟ قال: بل اعقلها وتوكل، أي اربطها، أي أن العقل خلق لربط الأشياء، فلا يعمل الآدمي من تلقاء نفسه ووفق هواه بل هو مقيد بضوابط معينة، وهي الأوامر الإلهية وشرعة النبي ﷺ، وهي ما تُسمى بالمعقولات، وهو ما يتفق مع الربط، لذلك فإن الفقه في أول درجاته، والإسلام في أول درجاته، والدين في أول درجاته، يحتاج لهذا الربط، فتجد الآيات تقول ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ 68 يس، أي ربط الأمر بتنفيذه، والعقل يسكن موطن الحواس، وهو موطن القلب لا الرأس، قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ 46 الحج، وهذا العقل يرتقى، فيصبح فؤاداً، فعلى سبيل المثال في قصة سيدنا موسى وأمه، فقد ظهرت نبوءة الولد من بني إسرائيل الذي يهدد ملك فرعون، فكان فرعون يبعث بجنوده لقتل

كل حامل من بنى إسرائيل، فبعد ولادته عليه السلام دخل الجنود فجأة فرمته أخته في التنور وهو الفُرن، ولما خرج الجنود نظرت أخته في التنور فوجدته جالسا يرضع إصبعه، وهذا هو الخارج عن المعقول، فقررت حينها أمه أن تلقى به في اليم وإن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ 10 القصص، أى إنه استقر، وأصبح فارغاً عن كل شيء سوى الله فقال لها تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ 7 القصص، وقال ﴿أَنِ افْقِدِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ 39 طه، وهذا هو الخارج عن المعقول وهو ما يختص به الفؤاد ويتقبله، ثم بعد الفؤاد يتطور الإيمان إلى اللب وهو عقل الروح، في قوله تعالى ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ 29 ص، ثم يترقى ليصبح عقل العقل، وهو العقل الذاتى، وهو ما يتفكر في الله وكل ما دونه يتفكر في آيات الله، وصاحب العقل الذاتى يسمى ب(ذى النهى):

أتحسب أنك جرم صغير      وفيك انطوى العالم الأكبر

فابن آدم هو مثال مصغر للأكوان.

أن يكون لك عقل هذا أمر، وأن يكون هذا العقل مربوطاً بنور الفهم هذا أمر آخر.. لأن الجميع لهم عقل ولكن ليس لكل نور الفهم، ونور الفهم لا يتأتى إلا بمداومة الذكر، والفكر يأتي بعد الذكر.

### لَيْسَ مِنْنَا وَمَا فَوْقَ الْمَنِيِّ دَرَجًا

مازلنا ننهل من نبع هداية أقوام أفنوا أعمارهم في الدعوة الخالصة إلى الله وها هو الإمام الشافعي رحمه الله يقول: طلبنا ترك الذنوب فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور فوجدناها في قراءة القرآن، وطلبنا عبور الصراط فوجدناها في الصوم والصدقة، وطلبنا ظل العرش فوجدناها في الأخوة الصالحة، أفاض الله على قلوبكم نور الرضوان وأسمعكم عدوبة القرآن.

فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً، ولا لما فاتك منها ترحاً ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول أمل، فمن شغلته دنياه خسر آخرته.

ومهما كانت ظروفك القاحلة سينبت الله لك فيها الفرج، فتأمل قوله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ 37 إبراهيم، فكانت تلك الدعوة رغم أنهم بواد غير ذى زرع.

وعن الثبات في الأمر فإنه لا يكون بكثرة الاستماع للمواعظ وإنما يكون (بفعل) هذه المواعظ وتطبيقها في واقع الحياة... فانظر إلى

قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ 66 النساء .

وقيل لأحد العلماء: يا شيخ، فلان انتكس.

قال الشيخ: لعل انتكاسته من أمرين:

الأول: إنما أنه لم يسأل الله الثبات، أو الثاني: أنه لم يشكر الله على نعمة الاستقامة.

فحين اختارك الله لطريق هدايته، ليس لأنك مميز أو لطاعة منك، بل هي رحمة منه شملتك، قد ينزعها منك في أي لحظة، لذلك لا يغتر أحد بعمله ولا بعبادته، ولا ينظر باستصغار لمن ضلّ عن سبيله، فلولا رحمة الله بك لكنت مكانه.

قال تعالى ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْتِنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ 74 الإسراء، فإياك أن تظن أن الثبات على الاستقامة أحد إنجازاتك وإنما توفيق من الله، نسأل الله تعالى لنا ولكم الثبات حتى الحمات، وقالوا خمس مثبتات في عصر الفتن:

1. القرآن الكريم ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ 32 الفرقان.
2. وقراءة السيرة وقصص الأنبياء ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ 120 هود.
3. العمل بالعلم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ 66 النساء .

4. الدعاء (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك).
5. الرفقة الصالحة ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ 28 الكهف.
- ومن وصايا أحد العارفين لكل المريدين والسالكين في طريق القوم، في طريق التصوف وخاصة الفقراء، وهي وصية عظيمة تعد بمثابة العقيدة والدستور والمنهج لكل سالك يرد طريق أهل الله، فينبغي أن تكون محفوظة لدى كل مرید في عقله وقلبه، فهي كالمشعل يضيء لك الطريق في ظلمة الليل الخالك فاحفظها واعمل بها وهذه هي الوصية:
1. أوصيك بتقوى الله، وحفظ طاعته، ولزوم ظاهر الشريعة، وحفظ حدوده.
  2. وإن طريقتنا هذه مبنية على: سلامة الصدر، وسماحة النفس، وبشاشة الوجه، وبذل الندي، وكف الأذى، والصفح عن عثرات الإخوان.
  3. وأوصيك بالفقر هو: حفظ حرمان المشايخ، وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصغر، والشفقة على الأكبر، وترك الخصومة مع الناس، وملازمة الإيثار، ومجانبة الادخار وترك الصحبة مع من ليس منهم ومن طبقتهم، والمعاونة في أمر الدين والدنيا وحقيقة الفقر أن لا تفتقر إلى من هو مثلك وحقيقة الغنى أن تستغنى عمن هو مثلك.



4. وأن التصوف ما هو مأخوذ عن القيل والقال، بل هو مأخوذ من ترك الدنيا وأهلها، وقطع المألوفات والمستحبات، ومخالفة النفس والهوى، وترك الاختيارات والإرادات والشهوات، ومقاسات الجوع والسهر، وملازمة الخلوة والعزلة أى المراقبة.

5. وأوصيك إذا رأيت الفقير أن لا تبتدئه بالعلم بل ابتدئه بالحلم والرفق فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه.

6. وأن التصوف مبنى على عدة خصال:

- الأولى: السخاء وهى لسيدنا إبراهيم عليه السلام.
- الثانية: الرضا وهى لسيدنا إسحاق عليه السلام.
- الثالثة: الصبر وهى لسيدنا أيوب عليه السلام.
- الرابعة: الإشارة وهى لسيدنا زكريا عليه السلام.
- الخامسة: الغربة وهى لسيدنا يحيى عليه السلام.
- السادسة: الفقر وهى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وهى الافتقار إلى الله).

7. وأوصيك أن لا تصحب الأغنياء إلا للتعزز، والفقراء إلا للتندل، وعليك بالإخلاص وهو نسيان رؤية الخلق ودوام رؤية الخالق، ولا تتهم الله عز وجل فى الأمور، واسكن إليه فى كل حال، ولا تضيع حقوق أخيك اتكالاً لما بينك وبينه من المودة والصدقة فإن الله

- عز وجل فرض لكل مؤمن حقوقاً عليك، فأقل الحال هنا الدعاء لهم وخدمة الفقراء لازمة على طالبٍ بالنفس والمال.
8. والزم نفسك بثلاثة أشياء: بالتواضع لله سبحانه وتعالى وبحسن الأدب مع الخلق كلهم وبسخاء النفس.
9. وأمت نفسك حتى تحيا، وإن أقرب الخلق إلى الله أوسعهم صدرًا وأحسنهم خلقاً، وإن أفضل الأعمال مخالفة النفس والهوى ودوام التوجه إلى الله سبحانه وتعالى والإعراض عن سواه.
10. وحسبك من الدنيا شيئان: أولاً صحبة فقير عارف، ثانياً خدمة ولي كامل.
11. واعلم أن الفقير هو الذى لا يستفتى بشيء من دون الله تعالى، وطريقه جد كله فلا يخالطه بشيء من الهزل.
12. وجانب أهل البدع -والعياذ بالله- فلا تنظر إليهم جملة.
13. وعليك بترك الاختيار وملازمة التسليم وتفويض الأمر كله لله. وطيب الصحبة هم من إذا غبت عنهم فقدوك، وإذا غفلت نبهوك، وإذا دعوا لأنفسهم لم ينسوك، هم كالنجوم إذا ضلت سفينتك في بحر الحياة أرشدوك، وغداً تحت عرش الرحمن ينتظروك، ألا يكفي أنهم في الله أحبوك.
- مما تعلمناه من سور القرآن الكريم سورة "التفاؤل والتشبيت" الكثيرين منا لا يعلمونها إنما سورة الطلاق، وهل تعلم لماذا سُميت كذلك؟

لأنها حُشِدَتْ بعدد من الجُمَل التي تفتح لكل مغموم ومهموم آفاق الأمل على الرغم من قصرها.

إذا مرّت حياتنا بزواج فاشل أو مرض أو صراع نفسى أو خسارة مالية، فاعرض حالك على آيات سورة "النفاؤل والثبّت".

بدءاً بالآية الأولى ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾<sup>1</sup> الطلاق، اجعلها شعارك، وتذكرها كلما بُليت بما يغمك.

ثم الآيات التي بعدها ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾<sup>2</sup> الطلاق، أضافت عليك الدنيا حتى كدت تجزم أنك لن تسعد بحياتك مرّة أخرى؟ من جعل لك مدخلاً إلى هذا البلاء يجعل لك -يقيناً- مخرجاً منه، إن اتقيته ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾<sup>3</sup> الطلاق، ليس الرزق مالاً فقط، بل شفاءً يُذهب مرضك، طمأنينة تُذهب ضيق صدرك، شريكاً صالحاً يُنسيك شقاءك الأول.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>3</sup> الطلاق، أى متولى جميع أمرك، وكافيك ما أهمك، فقط توكل عليه، واترك له تدبير خلاصك من هذه الكربة، لكن لا تنسَ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْعُلَمَاءِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>3</sup> الطلاق، فلا تستعجل، ولا تياس، ومهما أظلم الليل فضوء الصبح آتٍ لا محال.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ 4 الطلاق، يُيسِّر لك ما يُصبر نفسك، يُيسِّر لك ما يُثبِت عقلك، يُيسِّر لك ما يشرح صدرك، يُيسِّر لك ما يُنهي كربك.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ 5 الطلاق، وما هذا البلاء -إن احتسبته- إلا تكفير لسيئاتك ورفعته في درجاتك، وحسبك بهذا معنماً وسط كل ذلك الضيق والهم والألم. اتق الله، اتق الله، اتق الله. ثم تأتي خاتمة آيات النفاول قاطعة حاسمة ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ 7 الطلاق، فهل يبقى في نفسك -أيها المكروب- شيء من الشك والتشاؤم بعد كل هذا؟!

### لَيْسَ مِنَّا وَفَوْقَ الْمَنِيِّ ذَرًّا

يقول المولى الكريم ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ 133 آل عمران، فالمبادرة إلى مغفرة من الرب والتوبة والإخلاص وسائر الطاعات، أمرنا الحق فيها بالمسارعة، على غير الحال في هذه الدنيا، فنجد أن السرعة في مناحي شتى أمر غير مطلوب ويحذر منه، كالسير في الطريق تجد من يحذرك بعدم السير بسرعة حرصاً على سلامتك وسلامة الآخرين، أما إذا تعلق الأمر بطاعة من الطاعات، أو قربة من القربات، أو الرجوع إلى الله بتوبة خالصة، فنجد الحق طلب متناً

المسارعة، فطريق الهداية لا ينتظر المتراخي، والإسراع إليه هو السبيل، وعلى قدر الإسراع يكون الاجتهاد، ومنتهى هذا الاجتهاد هو الجنة بإذن الله وآخر هذا السبيل هو نوال المنى بلذيد الخطاب يا عبادى لا تخافوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ 30 فصلت.

مَا سَمِعْنَا مِثْلَ هَذَا يَوْمَ نَادَى يَا عِبَادِى لَا تَخَافُوا ذَا أَمَانِ

ونحمد الله إذ هدانا بغرباء الشرق، من بهم استبان الحق، فكانوا هداة مهديين وأئمة راشدين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ 73 الأنبياء، منهم سخي الكف.. حبيب الله.. غياث المعنى.. صاحب الرحيق المختوم.. عذب الشراب الذى لم تشهد الدنيا مثاله، شيخنا وإمامنا الإمام فخر الدين رضى الله تعالى عنه الذى تحدث عن نفسه قائلاً:

عَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ يَكُونُ قَصْدِى رَضِيْتُ اللَّهُ وَالْإِسْلَامَ دِينَا

وقال أيضاً:

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ مَشْرِبِي وَهَدَايَتِي لِلْسَّالِكِينَ مَشَارِبِي  
وَلِي نَظْمٌ دُرٌّ وَالْحَوَاهِرُ مَنْطِقِي وَفِيهِنَّ لِلرَّاجِحِ النَّجَاةُ مَكَاسِبِي

والذى أزاح الستار عن مولاي كمال الدين رضى الله تعالى عنه من  
 لديه عوض الوالدين والحبيب الذى لا يخيب رجأؤه.. فقال:  
 مِنْ كَمَالِ الْعَطَاءِ مَنْ فَيْضٍ وَهَبِ أَيُّهَا النَّاسُ جَاءَكُمْ إِبْرَاهِيمُ  
 وقال أيضاً:

وَصَرَّحَى بِاسْمِ اللَّهِ بَوَّأْتُ رُكْنَهُ وَآيَةُ إِبْرَاهِيمَ رَفَعُ الْقَوَاعِدِ  
 وقال أيضاً:

ذَا أَمِينِي لَوْ عَلِمْتُمْ كَانَ مِنْ فَضْلِي سَرِيًّا

ويستمر عطاء الإمام الجليل ليشير إلى الشريف الدسوقي، سخي  
 الرفد.. والبطل الذى تكفل من عوائد سره ألا يرد مريده صفر  
 اليد.. يحكى أبا العينين أعظم ماجد.. فيقول:

مَنْ حَبَا شَيْخَكَ شَيْخًا وَاصِلًا يَا مُرِيدِي قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

وقال أيضاً:

أَبَا الْعَيْنَيْنِ يَا نَظْمًا فَرِيدًا لِأَهْلِ اللَّهِ جَمْعًا كَانَ وَرِدًا

وقال أيضاً:

إِنَّهُ دَارٌ وَدَيَارُ الرِّضَا إِنَّهُ وَاللَّهِ حَلَالُ الْعُقْدِ

ثم يرسو على ميناء السالكين فيطرب قلوب العاشقين بالحديث عن سبط  
 سيد المرسلين ومعين الشارين وإمام الواصلين، أبا الإكرام أبا الإنعام عطاء  
 الله من دانت له كل الرقاب، فكان لكل السالكين باب.. بقوله:

بَابُ الدُّخُولِ إِلَى الْحَبِيبِ مُؤَكَّدٌ      بَابُ الْإِمَامِ وَنَعْمَ بَابُ الدَّانِي  
وقال أيضاً:

فَالْتَوَّرُ خَصَّةً جَدِّهِ وَهُوَ الَّذِي      زُيْتُ لِمَشْكَاتِهِ بِهَا مِصْبَاحُ  
وقال أيضاً:

سَلْ مَا تُرِيدُ مِنَ الْمَكَارِمِ عِنْدَهُ      مُسْتَشْفِعًا فِيهِ بِتَاجِ الْإِمَامَةِ  
وترقص الأرواح وتحن إلى أوكارها عندما تشهد البطون الخفية  
بالكلام عن سيد البرية، قرة الأعيان وملجأ الشفعاء، آية التوحيد  
وصاحب السجدة يوم الزحام، فيطربنا بقوله:

هُوَ أَحْمَدٌ فِي قَابِ قَوْسَيْنِ إِنْجَلَى      وَلَهُ لِيَوَاءِ الْحَمْدِ مَا أَسْمَاهُ  
كَرَّمَ بِلَا كَمٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ      كَفَّ كَرِيمٌ أَرْضُهُ وَسَمَاهُ  
هُوَ مَنْ عَلَيْهِ اللَّهُ صَلَّى قَدْرَ مَا      لَا تَعْلَمُ الْأَكْوَانُ كَمْ أَهْوَاهُ

ويُعرِّج غرباء الشرق لتسليم راية الحق إلى

الذي يجمع الكل حشداً تحت رايته، حامل أختام المحتجين

وختاماً...

أَجْرْتُمْ عَنْ نَوَايَاكُمْ بِخَيْرٍ      كُفَيْتُمْ بِالْعَظِيمَةِ وَالْإِمَامِ

تأتى لنا الأيام بأجمل وأطيب النفحات فنجد مع ذكرى الإمامين  
الجليلين تعانقاً جميلاً بذكرى أبناء خير الخلق، فمن قليل الأيام  
كانت ذكرى سيدتنا السيدة زينب رضی الله تعالى عنها، وفي قريب

الأيام نجد ذكرى الميناء الأعظم لجميع السالكين سيدنا ومولانا  
الإمام الحسين رضى الله تعالى عنه، وبين هاتين المناسبتين العظيمتين  
حولية الإمامين الجليلين رضى الله تبارك وتعالى عنهما.  
فالمنى كل المنى أبداً فوق فوق الفوق مرتفع.. فحقاً قال:

نِلْتَا مُنَانَا وَمَا فَوْقَ الْمُنَى دَرًّا

عَهْدًا رَعَيْنَاهُ مِنْ سِرِّ سَرَى فِينَا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكل عام وأنتم بخير

